خطاب الإصلاح في الفكر العراق المعاصر
(اصلاح المناهج التعليمية انموذجا ١٩٢١ـ١٩٥٨)

أ.م.د. نجاة عبد الكريم عبد السادة
جامعة البصرة -كلية الآداب - قسم التاريخ
najat. abdulkareem@uobasrah.edu.iq

المقدمة

يعد التعليم ركنا مهما في تطور الدول، فهو مرتبط بالمتغيرات العلمية والزمنية، والاهم في مجال التعليم العمل على المناهج التعليمية وعند محاولة لفت الانتباه الى مشاكل التعليم في أي بلد تظهر المناهج ومحاولة اصلاحها من الاسس المهمة في أي دعوة لإصلاح التعليم والارتقاء به.

والمناهج التعليمية الأداة التي يتم من خلالها تحقيق أهداف التعليم، وتطوره، والدعوات الى اصلاحه. ومن ذلك كانت فكرة هذه الدراسة والهدف منها تتبع الخطاب الإصلاحي في الفكر العراقي المعاصر اتجاه اصلاح المناهج التعليمية، هل ظهر خطاب اصلاح المناهج التعليمية في الفكر العراقي المعاصر؟ ام مجرد دعوات ترافقت مع تأسيس وزارة المعارف العراقية؟ وهل كان الخطاب الإصلاحي مبنيا على أسس في اصلاح التعليم بشكل عام والمناهج التعليمية بشكل خاص. وما تأثيره على التعليم في العراق؟

قُسم البحث الى اربعة محاور: ركز في المحور الأول على تعريف المناهج التعليمية لغة واصطلاحا للوصول الى المعنى المطلوب دراسته في البحث. واهتم المحور الثاني بتتبع

ظهور المناهج التعليمية في العراق ١٩٢١- ١٩٥٨بعد تأسيس وزارة العارف عام ١٩٢١. وضم المحور الثالث: خطاب الإصلاح للمناهج التعليمية في العراق في الجانب الرسمي. فيما تناول المحور الرابع: خطاب الإصلاح للمناهج التعليمية في العراق في الجانب غير الرسمي.

المحور الأول: المناهج التعليمية لغة واصطلاحا

المنهج لغة واصطلاحا:

المنهج لغة: مصدر مشتق من الفعل (نهج) بمعنى: طرق او سلك او اتبع، والنهج والمنهج والمنهاج تعني: الطريق الواضح الذي يوصل الى الغاية بسهولة ويسر [١]، وجاء في المعجم الوسيط ان المنهج هو الخطة المرسومة، ومنه الدراسة ومنهاج التعليم، أي الكيفية او الطريقة او الفعل او تعليم شيء معين لمبادئ معينة بصورة مرتبة ومنسقة ومنظمة [٢]

وبالانتقال الى المعنى الاصطلاحي نجد انه ارتبط باستعمال الكلمة في مجالها المحدد، والمقصود بالمعنى الاصطلاحي لكلمة منهج هنا هو (مجموعة الإجراءات والخطوات والاختيارات والقواعد افراد يعملون في نفس المجال) [٣]. والمنهج هو الترجمة العملية لأهداف التربية والتعليم وخططها واتجاهاتها في كل مجتمع، وتستخدمه التربية لتحقيق أهدافها وبناء نظام له عناصر ومخرجات تخدم الفرد ومجتمعه [٤]. ومن ذلك يمكن القول ان المناهج كمسمى له معنى واحد ولكن كغاية فهو يختلف باختلاف المجتمعات، ومنها كل مجتمع له فكر وفلسفة وثقافة خاصة، والمنهج انعكاسا لكل هذه المسميات، ولا يعمل في فراغ، فانه يتأثر بالعوامل البيئية الموجودة في المجتمع ولذلك فان ثقافة المجتمع وظروفه وطبيعة المعرفة وتطورها وطبيعة المتعلم ومستوى نموه عوامل ذات تأثير كبير على محتوى المنهج وأهدافه [٤]. يتنوع المنهاج على وفق مجالاته المختلفة، ومنه المنهج التعليمي ومعناه الاصطلاحي فهو كلمة أطلقت على لائحة (بالأهداف التعليمية واهداف المحتوى الذي يجب ان يدرس في المدارس) [٥]،

واطلقت كلمة منهج دراسي على المعلومات التي تحتويها المقررات الدراسية [٦]، وهو بتعريف اخر مجموعه من المعلومات والمعارف التي تقدمها المدرسة لتلاميذها من خلال الكتب المقرر دراستها أيضا [٧].

والمنهج الدراسي جزء لا يتجزأ من المشروع التربوي العام الذي تظل فلسفة التربية توجهه بشكل دائم [٨]. والمنهج التعليمي (مجموع المعلومات والحقائق والأفكار التي يدرسها التلاميذ في صورة مواد دراسية اصطلح على تسميتها المقررات الدراسية او مجموع الموضوعات الدراسية التي تقدمها للتلاميذ في صف دراسي معين) [٩]. وهذا التعريف القديم للمنهج ينطبق على المنهج التعليمي الذي عرفته المدارس العراقية في العهد الملكي. نستنتج من ذلك ان المنهج التعليمي عرضه للتغيير على وفق المتغيرات في العملية التعليمية الخاضعة للجانب السياسي او المتغير المعرفي في العالم ولذلك لا يتسم المنهج بالثبات لان العملية التعليمية ومعها المنهج يكون التغيير فيه جزء من صيرورته.

المحور الثاني - ظهور المناهج التعليمية في العراق ١٩٢١- ١٩٥٨

حصل تطور تدريجي على المناهج التعليمية في العراق للمدة من ١٩٢١-١٩٥٨، وارتبط مع الموقف التعليمي، من معلم ومتعلم ومنهج، وبناء عليه ما يحصل عليها من تغير او تطور يكون نتاج ما يحصل على الموقف التعليمي ككل. وينقسم المنهاج بين المواد الدراسية التي تعطى للمتعلم وبين السياسة التعليمية للدولة وما يراد من العملية التعليمية.

مرت عملية وضع واصلاح المناهج التعليمية في النظام التعليمي في العراق بمراحل تاريخية بدأت مع تأسيس وزارة المعارف في ١٠ايلول ١٩٢١ [١٠] وأصبحت المناهج مطبوعة [١١] واسندت مهام الوزارة الى هبة الدين الشهرستاني [١٢] ليكون اول وزير للمعارف. شكلت لجنة علمية عام ١٩٢٩ غرضها تنقيح المناهج [١٣] وبالذات عملية فحص المناهج والدروس المطروحة على

أبناء مدارس العراق في عهده [١٤].

وظهرت لجنة اصلاح المناهج التعليمية برئاسة ليونيل سميث في عهد وزارة توفيق السويدي [١٥] الذي سعى الى اصلاح النظام التعليمي وجعل المناهج أكثر ملائمة لحاجات البلاد [١٦]. ونتيجة لقرب دخول العراق الى عصبة الأمم عام ١٩٣٢ ظهرت رغبة قوية في جلب الخبراء الأجانب وطلب مشورتهم بهدف اصلاح المناهج التعليمية والإفادة من الخبرات التعليمية الامريكية، فقد دعيت لجنة بول منرو [١٧] التي وصلت الى بغداد في ٦ شباط ١٩٣٢، برفقة فاضل الجمالي [١٨] ممثل رسمي عن وزارة المعارف العراقية [١٩] واطلعت على المناهج الخاصة بالدراسة الابتدائية. فاحتوى الفصل السابع من تقرير وصف الكشف التهذيبي وصفا لمناهج الدراسية الأولية والابتدائية [٢٠] وفرض تطبيق المنهج في جميع نواحي العراق دون الاخذ في الاعتبار الفروق القائمة بين المدن والقرى والعشائر [٢١].

ظهر المنهاج الجديد للدراسة الإعدادية في العام الدراسي ١٩٣١-١٩٣٢ [٢٢]، واحتفظ فيه بمنهاج الاختصاص القديم على أساس الفرعين العلمي والادبي. كما اعيد الاهتمام بالمناهج في عهد وزارة نوري السعيد السادسة (٩تشرين الأول ١٩٤١- ٣تشرين الأول ١٩٤٢) بعد حركة مايس ١٩٤١،و شكلت لجنة برئاسة المستشار البريطاني هملي لإعادة النظر في المناهج الدراسية [٢٣]، كانت المتابعة مستمرة من الوزارة للمنهاج فقد استحدثت لجنة باسم (لجنة المناهج العامة والتدريسيات) في مديرية المعارف العامة عام ١٩٤٥، والتي كانت من أهدافها مراقبة تطبيق المناهج الدراسية في المدارس كافة، وعلى اللجان ان ترفع تقاريرها عن المشاكل التي تواجهها في التدريس [٢٤] كما الفت لجنه لإعادة النظر في المناهج والكتب المدرسية بموجب الامر الوزاري المرقم ٣٨٣٣ والمؤرخ في ٥ شباط ١٩٤٩ [٢٥].

يبدو من ذلك انه تم التركيز في تلك حقبة الاربعينات بعد حركة مايس في التأكيد على الاتجاه القومي في المناهج التعليمية، وعملت الوزارة

على اشخاص يدينون للقومية من رجالها في دوائرها ومديرياتها [٢٦].

صدرت قوانين وأنظمة لتنظيم العمل لوزارة المعارف، حملت في بعض قراراتها ما يخص المنهج التعليمي، والملاحظ عند قراءتها انه حصل تطور تدريجي في الجانب الإداري والتنظيمي للوزارة للمدة من ١٩٣٥الى ١٩٤٥، اما الأنظمة التي صدرت من (١٩٤٦-١٩٥٨) كانت فيها الأعوام (١٩٤٧-١٩٥٠) بقي نظام الوزارة بدون تعديلات [٢٧]،

وشهدت حقبة الخمسينيات اهتماما بالمناهج التعليمية واهتماما بالتعليم الصناعي والتعليم العالي، واستحدثت وظيفة ((معاون مدير المعارف العام للشؤون الفنية) ليتولى الاهتمام بمسائل اعداد المناهج الدراسية والاشراف على مديرية البعثات وتعادل الشهادات)) [٢٨] واستحدثت في وزارة المعارف عام١٩٥٨ وحدة الشؤون الفنية يديرها مدير الشؤون الفنية ومن ضمن اختصاصها الاهتمام بالمناهج الدراسية ووسائل الايضاح [٢٩] وهذا دليل على حصول تطور في الهيكل التنظيمي للوزارة متأثرا بالمستجدات في مجال التعليم ومناهجه. يبدو من ذلك ان الاهتمام بالمناهج كان امرا طبيعيا لأنها جزء مهم في تطور العملية التعليمية.

المحور الثالث: خطاب الإصلاح للمناهج التعليمية في العراق في الجانب الرسمي:

من المتعارف عليه يغلب على خطاب الإصلاح الانشغال بالفكر والمحتوى أكثر من الرسالة والعمل، وهذا ينطبق على خطاب الإصلاح التعليمي في العراق، وبخاصة اتجاه المناهج التعليمية، وعليه يكون التساؤل هل تحول خطاب الإصلاح الى عمل لتغيير المناهج التعليمية؟ ام بقيت دعوات إصلاحية؟ هل كانت فردية ام جماعية؟ وهل تحرك خطاب الإصلاح كعمل بما هو مهني مع مهارات ومعرفة مؤثرة اثرت في مسار النظر الى المناهج وتغييرها؟

على وفق كل هذه التساؤلات نضع دعوات اصلاح المناهج التعليمية في العراق مع تأسيس وزارة المعارف أي في الجانب الرسمي والعملي ،

فكان منهاج الوزارة، وتوجهات الوزير من الأساسيات في طرح هذه الدعوات، وقد شغل بعض المفكرين المصلحين للوزارة ومنهم الوزير هبة الدين الشهرستاني الذي أكد (على تطوير المناهج التعليمية وتوحيدها مع الاخذ بنظر الاعتبار البناء الاثني للعراق)[٣٠] ودعا الى إعادة النظر في المناهج الدراسية المعمول بها والتي (مثلت الحقبة العثمانية، فالمناهج التي عمل بها سابقا لا تمثل حاجة البلد فهي لا تعدو كونها مناهج مبسطة الغرض منها تعليم القراءة والكتابة ولا تتناسب مع روح العصر حيث الحاجة لدراسة العلوم التطبيقية الحديثة ،وإدخال التجارب ووسائل الايضاح في التعليم والتي تعد جزءا مهما للمناهج الدراسية الحديثة)[٣١]، كان هبة الدين مدركا لأهمية الجانب التطبيقي في التعليم ،وهو معروف عنه اهتمامه بقضية العلم [٣٢] ،ولأنه شعر بتخلف المنهج التعليمي الذي وضع في عهد الاحتلال [٣٣]، وبذلك لم ينفصل الفكر الإصلاحي عند هبة الدين عند ممارسته لشؤون وزارة المعارف وحاول رفد الوزارة بفكره الإصلاحي ونقل محتواه الى رسالة عمل ومنها في اصلاح المناهج التعليمية التي دخلت من ضمن فلسفته التربوية بتوجيه (التعليم توجيها وطنيا بتأكيده على دراسة التاريخ والاعتناء بالأناشيد الوطنية) [٣٤] .وحاول توفيق السويدي ان يخطو نحو اصلاح المناهج التعليمية عندما استلم وزارة المعارف للفترة من ١٤ كانون الثاني ١٩٢٨ -٢٣ اذار ١٩٣٠، رفع شعارا بإصلاح المعارف وتنفيذا لهذا الشعار قام بتشكيل عدد من اللجان الاصلاحية كلجنة اصلاح المناهج الدراسية للمرحلتين الابتدائية والثانوية [٣٤].

وفي وزارة ناجي شوكت (٢٣ تشرين الثاني ١٩٣٢) أصبح وزير المعارف عباس مهدي البغدادي [٣٥] وكان من ضمن منهاج الوزارة (الاهتمام بمسائل التعليم وجعله أكثر ملائمة لحياة المجتمع، ولذلك اكدت رغبتها في تغيير المناهج باتجاه تأكيد قيم العمل وتنمية روح

الاعتماد على النفس) [٣٦]. ولكن لم يطبق المنهاج بسبب قصر مدة توليه الوزارة.

شغل جلال بابان وزارة المعارف (٢١شباط ١٩٣٤- ٢٥ اب ١٩٣٤)، كان خطابه في اصلاح المناهج انه طالب بتعديل المناهج الدينية وأضافته الى المنهج التعليمي وخاصة بقوله : (قطرنا العراقي اسلامي بحق نعتقد ان الواجب يقضي بضرورة التشدد والاهتمام في هذا الامر الحيوي لتقوية العقائد الاسلامية في نفوس الناشئة) [٣٧] ،

كانت المناهج التعليمية في اهتمامات وزارة المعارف، تدرجت عليه من خلال منهاج كل وزارة او وزير، ولكن حالة التبلبل الحاصل في وزارة المعارف والمشاكل بين الوزراء ومدراء المعارف كما حصل في المدة ١٩٣٣ الى ١٩٣٦ بين ساطع الحصري والوزراء الذين تولوا الوزارة (٣٨) فضلا عن عدم وضوح فلسفة التعليم لوزارة المعارف.

شغل تحسين علي وزارة المعارف وكان له آراؤه في المنهج التعليمي، ومن اقواله عن المناهج التعليمية بانها (في حالة مبهمة لما ينتابها من مقاصد وغايات غير مستوفية الدرس الصحيح ذلك الدرس الذي يجب ان يكون مبناه احوالا كثيرة تؤثر تأثيرا اضطراريا في التعليم من احوال طبيعية واجتماعية وسياسية واهمها العامل الاول، والمناهج لا يراعى فيها التوجيه القومي والعلمي معا تضطرب فيها الآراء لان واضعيها غالبا ما يضعونها بصورة مرتجلة وفقا ما توجهه الاهداف والآراء السياسية المتقلبة حسب الظروف والحالة الاجتماعية المرتبكة ،كل هذه العوامل جعلت المعارف عندنا شبيه بالحقول العقيمة) (٣٩)، وكان الحل لديه بوضع خطة لخمس سنوات وان يأخذ بنظر الاعتبار وضع مناهج البلاد المجاورة او طرق التربية الحديثة المناسبة لحالتنا .

استمرت وزارة المعارف في عملها من اجل اصلاح المناهج

التعليمية ولكنها لم تكن على مستوى ما تطرحه كل وزارة في منهاجها، وبمراجعة لتاريخ الوزارات للمدة من ١٩٣٧- الى ١٩٥٨ لم تطرح رؤية اصلاحية باتجاه تغيير المناهج بما يخدم العملية التعليمية ، بسبب الحرب بالحرب العالمية الثانية ، وماطرا من مشاكل على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي ،والمنهج التعليمي جزء لا يتجزأ من المشروع التربوي العام كما هو المعروف تظل فلسفة التربية توجهه بشكل دائم (٤٠)، وهذا انعكس كما يبدو على خطاب اصلاح المناهج في الجانب الرسمي وجعله في ضبابية اثرت على عدم التعليم بشكل عام ومسالة المناهج التعليمية بشكل خاص.

المحور الرابع: خطاب الإصلاح على تطور المناهج التعليمية في الجانب غير الرسمي.

يمكن ان نطلق مسمى خطاب اصلاح غير الرسمي على دعوات المفكرين والمثقفين العراقيين وماكتبوه عن اصلاح صلاح المناهج التعليمية، وهذا يدخل من منطلق استخدام المصلحين في دعواتهم من (خلال نصوصهم الى توجيه وبناء الحدث نحو التغيير)[٣٩]. وخوضهم في اصلاح المناهج التعليمية بسبب اهميتها في الجانب التربوي والتغيير للأفكار، لان المناهج تدخل من ضمن فلسفة المجتمع والمنظومة الثقافية، وفي صلب عملية التعليم أيضا، لذلك أي خلل فيها سينعكس سلبا على ثقافة ووعي المجتمع، والمنهج التعليمي هو الذي يوفر الخبرات التي تحقق هدف التربية [٤٠].

الهوامش والمصادر:

١- عبد القادر رشيد، مناهج التحليل اللغوي، جامعة وهران (١) احمد بن بله.
٢- تعريف
٣- صلاح عبد الحميد مصطفى، المناهج وعناصرها واسسها وتطبيقاتها الرياض، دار المريخ ،٢٠٠٠.
٤- احمد جودة، التربية والتعليم وأثره في الجانب السياسي،
٥- احمد إبراهيم قنديل، المناهج الدراسية الواقع والمستقبل، مصر ،٢٠٠٨،ص٣.
٦- المصدر نفسه، ص١٣.
٧- صلاح عبد الحميد، المصدرالسابق، ص٢٤ .
٨-
٩- صلاح عبد الحميد المصدر السابق،
١٠-عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج
١١-فلاح مجيد حسون، وزارة المعارف،
١٢- علاء الدين عبد الحسين القريشي تطور التعليم في الكوت١٩٢١-١٩٥٨، شهادة ماجستير غير منشورة جامعة واسط كلية التربية، ص٢٩.
١٣ - المصدر نفسه، ص٩
١٤- التعليم في العراق في عهد هبة الدين،ص٢٤ .
١٥- توفيق السويدي:
١٦- هادي خليف كريم تاريخ التعليم الابتدائي في العراق ١٩١٤-١٩٣٢، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد ٢٦، نيسان ٢٠١٦، ص
١٧- بول منرو:
١٨- محمد فاضل الجمالي: ولد عام ١٩٠٣، من اسرة دينية، درس في مدارس الاليانس ودخل دار المعلمين ليعين معلما عام ١٩١٨، كان ضمن البعثة العراقية الى الجامعة الامريكية في بيروت ليحصل على شهادة البكلوريوس عام ١٩٢٧، كلف بتدريس الأمير غازي الى حين قبوله في البعثة بجامعة كولومبيا في الولايات المتحدة الامريكية أواخر حزيران عام ١٩٢٩، عين على الملاك الثانوي ١٩٣٢مدرسا على الملاك الثانوي، شغل مناصب كثيرة ، كانت وفاته في تونس عام ١٩٩٧ . رحيم كاظم محمد الهاشمي، محمد فاضل الجمال ودوره السياسي ونهجه التربوي حتى العام ١٩٥٨، عمان ،٢٠١٢، ص ١٩-٣٣.
١٩- محمد جاسم شغيت، التعليم في العمارة ١٩٢١-١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة كلية التربية للبنات، ص٤٩.
٢١- فلاح محسن كزار، وزارة المعارف ١٩٢١-١٩٥٨، أطروحة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ابن رشد ، ص٤٨
.
٢٢- علاء الدين عبد الحسين، المصدر السابق، ص٤٨.
٢٣ - علي طاهر تركي، موقف المجلس النيابي من السياسة التعليمية في العراق١٩٣٩-١٩٥٨، جامعة كربلاء، كلية التربية، ص٢ .
٢٤- علاء الدين عبد الحسين، المصدر

السابق، ص١١٤

٢٥- المصدر نفسه، ص٧٠.

٢٦- جاسم محمد شغيت، المصدر السابق، ص.

٢٨- فلاح حسن كزار، المصدر السابق، ص٦٠

٢٩-المصدر نفسه، ص ٤٠

٣٠- دور هبة الدين

٣١-المصدر نفسه، ص.

٣٢- نجاة عبد الكريم عبد السادة، الاتجاه التوفيقي في النهضة الفكرية الحديثة ١٩٠٨- ١٩٣٣،

٣٣، - علاء الدين عبد الحسين، المصدر السابق، ص.

٣٣-المصدر السابق، ص.

٣٤-إبراهيم خليل احمد، المصدر السابق، ص ١٢٥.

٢٥-توفيق السويدي، مذكراتي

٣٥-عباس مهدي: ولد عام ١٩٩٨ في بغداد، من طبقة التجار، درسَ في المدرسة الجعفرية، كان يدرس اللغات الألمانية والإنكليزية والفرنسية، حصل على شهادة الحقوق سنة ١٩٢٦، الشرق الأوسط، العدد ١٢،٨٠١٨كانون الأول ٢٠٠٨.

٣٦- مأمون زكي، ازدها المعارف، ص٦٦

٣٧- وزارة المعارف

٣٨- توما جورج خوري، المناهج التربوية مرتكزاتها، ص.

٣٩- احمد محمد الحوفي، فن الخطابة، ٢٠٠٤.

٤٠- فوزي طه إبراهيم، احمد اللكزة، المناهج المعاصرة، ص٤٤.